

مقدمة: يذكر الكون الذي نعيش فيه بالأسرار التي يحاول الإنسان منذ وجد على هذه الأرض أن يكتشفها، ولكن أقربها إليه سر اللغة، وأهم مظاهر سلوكه، والأكثر من غيرها بل وقبل غيرها جديرة بالدراسة والبحث ما دامت مرتبطة بالإنسان إلى هذا الحد.

ورغم مصاحبة الإنسان لها منذ تعلم الكلام إلا أنها عصية في تعريفها ومعرفتها، لأنها لا يحتاج إلى تعريف ما هو أوضح من أن يعرف فقد صارت اللغة متداولة على لسان الإنسان على نطاق واسع للإشارة إلى عدد كبير من وسائل الاتصال . فنحن نسمع بلغة النمل ولغة النحل ولغة الطيور ولغة الحيوان ولغة الأسماك ولغة الإشارة ولغة الكمبيوتر وحتى لغة العيون التي يتغنى بها الشعراء ولكن تبقى اللغة خاصية نوعية ليس لها شبيها ذو أهمية في مكانة أخرى، وسؤال الكيفية التي يكتسب بها الإنسان اللغة، هو سؤال الإنسان لنفسه باللغة التي يؤمن يقيناً أنه يكتسبها ويستعملها، لمعرفة كيفية مخصوصة تخرجه من مراحل كيفيات متصورة ومتخيله في اكتساب اللغة والإجابة عن سؤاله لنفسه ليست ترقا علمياً، إنما هو سعي الإنسان للوصول لمعرفة ذاته، ويريد الباحث أن يعرض من بين تصورات عدة أدارها الفكر البشري في ذهنه، تصوراً يرى أنه الأنسب والأحدث في تفسير اكتساب اللغة هو "النظرية الفطرية". اللغة خصائص وأسئلة هناك مواصفات كثيرة تتميز بها اللغة البشر، منها أن لغة الإنسان تستطيع أن تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع، كما يمكنها أن تشير إلى الأفعال التي يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات، وبإمكانها أيضاً أن تعبّر عن الأفكار الذهنية المجردة، كما تتميز أيضاً بخاصية التعميم، قاسم ، 2016 ، ص. (32) مع هذه الخصائص التي تعرفها عن لغتنا وتميزنا عن الكائنات الأخرى ماتزال اللغة غامضة وطرح أسئلة – على امتداد العصور – شغلت بالمفكرين من فلاسفة وعلماء نفس وعلماء لغة ورجال دين وعلماء اجتماع وسوادهم. ولم يستطع الإنسان حتى الآن أن يتوصل إلى الإجابة عليها كلها، تعليمها، ترجمتها اكتسابها . الخ لا نريد أن نستطرد فنذهب في مثل هذه الأسئلة النظرية نهايتها ، فقد لا توجد نهاية فعلية لها .

ـ اللغة وعلم النفس لقد بدأت نشأة اللسانيات النفسية صيف عام 1951 ، في اجتماع المجلس بحوث العلوم الاجتماعية في جامعة كورنيل، إذ تم تشكيل لجنة للسانيات وعلم النفس، برئاسة "شارلز أو سغورد" ثم عقدت بعد ذلك حلقة دراسية في جامعة "أنديانا" بالتعاون مع المجمع اللساني، في صيف عام 1953 وقد شكلت هذه الحلقة الأساس لأول كتاب يحمل مصطلح "السانيات النفسية" في عنوانه: "السانيات النفسية : استعراض للمسائل النظرية والبحثية" وقد كان التركيز عند اللسانيين و علماء النفس على الجوانب القابلة للملاحظة من اللغة واستبعاد العمليات العقلية أيًا كان نوعها، والاحتفاظ بالسلوك كميدان لعلم النفس، فقد كان الاعتقاد السائد وقتها أن الكلام ليس إلا نوعاً من أنواع ما يبديه البشر من سلوك حركي ، واكتساب اللغة عبارة عن عملية تقوم على تزايد سلوكيات الكلام المتربطة بشكل صائب عن طريق مكافأة ما هو مرغوب فيه، وعدم مكافأة ما هو غير مرغوب فيه ونظام التعلم بالاشتراك مشترك بين جميع الكائنات الحية وتعلمها يتم بالطريقة نفسها. وكان الرابط بين اللسانيات وعلم النفس هو النظرة التي ترى أن كل ما هو مثير للاهتمام حيال اللغة قابل للملاحظة المباشرة في إشارة الكلام الفيزيائية، لكن هذه النظرة إلى اللغة وجدت عند أدوارد سابير" معارضة في ورقة البحثية الموسومة "الواقعة النفسية للصوات" التي نبه فيها إلى ضرورة تجاوز التمثيل الفيزيائي والاهتمام بالتمثيل العقلي عن واعتبر أن موضوعها هو مجموعة القواعد الموجودة في الذهن، فهي السبب في إنشاء الكلام الذي هو نتيجة قابلة للملاحظة وقد لاقت فكرة تشومسكي إقبالاً وقناعة من اللسانيين وعلماء النفس وتمكن "جورج مولر" إدراك الآثار المترتبة على أفكار تشومسكي بالنسبة إلى الدراسة النفسية للغة واكتسابها، كما قام اللساني سول سابورتا" في عام 1961 . كتابه "السانيات النفسية" قراءات مختارة بدعم من لجنة اللسانيات وعلم النفس في مع بحوث العلوم الاجتماعية (إيفام ، هيلين ، 2018 ، ص ص 44، 42,43) وهكذا استغل علم النفس النظريات اللسانية في مجال البحث النفسي وأولى علماء النفس اهتمامهم بالظواهر اللسانية، ودعوها مصادر موثوقة بها للمعلومات في موضوعات متنوعة ذات أهمية بالغة للدراسات النفسية. فتبلور هذا العلم واستقل وأصبح له أدواته العلمية وإجراءاته التطبيقية، واستطاع أن ينقل البحث من الاقتصار على الوصف والتحليل دون التفسير إلى دراسة العقل البشري ودوره في العملية اللغوية المحاولة تفسير الظواهر اللغوية وحالات الإنسان أثناء عملية التواصل، ومن ثم يكون اهتمامه المباشر ينصب على الظواهر العضوية والنفسانية لإنتاج الكلام وإدراكه، والمواقف العاطفية والذهنية تجاه حدث عينه من أحداث التواصل، والخلفية الثقافية والاجتماعية التي تشكلت فيها نفسية الفرد في مواجهتها. والوقوف على المهارات العقلية والعلاقة بين اللغة والفكر، وعوامل صعوبة الفهم، وتركيب الذاكرة من الناحية اللغوية وطبعية التذكر، وأسلوب استدعاء المخزون اللغوي من الذاكرة؛ أي العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة، وعند صدورها من قبل المتكلم. ويهتم بدراسة أمراض الكلام. وقد أكد علماء هذا العلم على أن الدراسة النفسية يجب أن تستعين أيضاً بمعطيات علم اللسان. (عزيز ، 2021 ، ص 459) إن اكتساب اللغة لا يتم بطريقة مفاجئة، وإنما يتم بطريقة ترتبط بجانب بيولوجي،

تؤدي فيه العوامل البيئية والعوامل الاجتماعية دورها عبر مراحل مختلفة، بدءاً من مرحلة ما قبل الكلام خلال الأشهر الأولى بعد الولادة التي يسود فيها الصراخ المعبّر عن الألم والجوع. بعض الأصوات وتمييزها، وإنتاج أصوات عديمة المعنى. وعنده نهاية السنة الأولى من العمر حتى الشهر الثامن عشر تبدأ مرحلة الكلمة الواحدة بنطق كلمات على نحو منفصل، وترتبط بالحاجات الأساسية وبالدلالة على الأشياء التي يتفاعل معها وتعد ذات أهمية بالنسبة له، كما يحدث في كلماته استبدال بعض الحروف مكان بعض. لأنها تمتاز بالابتكار والإيجاز وتعكس معاني كبيرة، وتكون أكثر انتقائية، وتزداد قدرته على إنتاج الجمل المعقدة؛ نظراً لعامل الخبرة والتضجع وبعد عامه الرابع تصير جمله المنتجة أكثر تعقيداً وطولاً، وبإمكانه التواصل مع الآخرين لفترة أطول للتعبير عن ذاته وأهتمامه وحاجاته ووصف الأشياء والإجابة عن بعض التساؤلات والإلقاء بالمعلومات (رافع، ص 46، 42). إذا تأملنا علاقة الطفل باللغة في مرحلة اكتسابه لها خرجنا بانطباع، هو أن ذهن الطفل مهيئ بشكل من الأشكال لإتمام عملية التكلم في عائلته وفي بيئته ويقوم بتحويلها إلى كلام هو في الواقع مختلف عن كلام الكبار من حيث ظاهره فالطفل يسمع من غير وعي التفاصيل الصوتية الدقيقة التي ستتصبح جزءاً من معرفته اللغوية، والدقة التي يقلد بها كلام من حوله من غير اهتمام منهم تتجاوز دقة التفاصيل الصوتية؛ لذلك لا يمكن أن تكون هذه الدقة لدى الطفل (44) كان الاتجاه السلوكي البنوي هو المسيطر على الدراسات اللغوية التطبيقية في الخمسينيات من القرن العشرين، وكان يُنظر إلى اكتساب اللغة بوصفه عادة سلوكيّة يسهل السيطرة عليها، الذي تشكله البيئة المحيطة بالطفل كالوالدين والأقران والمعلمين، (عبد العزيز ، 1999 ، ص. 197) فاكتساب اللغة عند السلوكيين شكل من أشكال السلوك الإنساني ومسار تعلمها لا يختلف عن مسار تعلم أي مهارة سلوكية أخرى. فالآصوات العفوية التي تصدر عن الطفل تحول إلى فونيمات عن طريق تدعيمها أو تعزيزها باتجاه الأنماط الصوتية عند الكبار والاستجابات اللفظية تتولد عبر المثير أو الحافز الفيزيائي، فيكتسبها الطفل عبر مسار تشرطي بقدر ما يكتشف الأشياء التي تشير إليها الكلمات عبر اقترانها بالكلمة التي يتلفظ بها، فيتعلم معنى كلمة (ماما) ومن ثم ماذا تعني كلمة (حليب) وبعدها ماذا تعني كلمة (لعبة)، وهكذا إلى أن يتم تعلم معنى الكلمات المهمة، ككلمة (فكرة) وكلمة (فرح)، ومن هنا نرى أنفسنا نميل إلى زيادة جملة (52). و كنتيجة لنظره السلوكيين البنويين للغة بأنها تراكيب سطحية، منتقداً النظرة السلوكية البنوية للغة بأنها تراكيب سطحية، وأشكال مجردة من المعنى، وكذا تفسير اكتساب اللغة القائم على أساس المثير والاستجابة والتعزيز والمحاكاة وغيرها من المصطلحات التي تنظر إلى السلوك الإنساني نظرة شكلية، أو حيوانية في أحسن الأحوال، 1999، لقد تجاوز تشومسكي الأطروحت التقليدية وقوض التصور الكلاسيكي للغة وللمعنى، فلم تعد اللغة مجرد مدونة من الكلمات تدل على أشياء تقابلها في الواقع وتبنّى الفلسفه العقلانية بوصفها أساس التفكير اللساني الجديد انطلاقاً من طبيعة اللغة الإنسانية ذاتها وواقعها الذهني ففي مؤلفه اللسانيات الديكارتية " بين المصادر التاريخية والأصول الفكرية لنظرية العائدة إلى الفكر العقلاني الذي ساد في تاريخ الفكر العقلاني (1966)" أوريا ابتداء من القرن السابع عشر وخاصة الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596 – 1650) الذي رفض الوصف المحسن للغة، وربط بين اللغة والعقل، 1986 ، ص، آلة، ويمكن تفسير ما يصدر عنه تفسيراً آلياً، فالحيوان جسم مادي؛ لأنّه لا عقل له، مثله مثل الأجسام المادية، ولا يوجد حيوان مهما يكن كاملاً أن يفعل ذلك (عبدة ، 1979 ، ص. 121 ، 120 ، 119) وهو ما يؤكّد عليه تشومسكي في قوله : "ليس من سبب جوهري اليوم للاعتراض على وجهة النظر الديكارتية التي ترى أن القدرة على استخدام الإشارات اللغوية للتعبير عن الأفكار التي تكون بصورة حرّة هي ما يرسم الفارق الحقيقي بين البشر والحيوان والآلة ( تشومسكي ، 1835-1767 Humboldt ، 2005 )، وأنّا بفكرة ربط اللغة بالعقل عند المفكر الألماني "همبولدت الذي يرى أن اللغة عمل العقل؛" ولأنها كذلك فإن هناك عوامل تكمّن تحتها وهي ليست على وهو ما سمّاه "شكل اللغة ويتمظهر في شكلين خارجي (آلي) وداخلي (عضوی). والشكل الأخير هو الأهم؛ لأنّه الأساس في كل شيء، أو هو البنية العميقّة لما يحدث بعد ذلك على السطح. (مصطفى 2017 ص.41). وأشار في مؤلفاته الأخيرة إلى أن علم اللغة فرع من علم آخر أطلق عليه علم النفس الإدراكي، وكان ذلك : في ثلاث مؤلفات من مؤلفاته وهي: "مظاهر النظرية النحوية"، "علم اللغة الديكارتي" ، 1985 ، (207). لقد وجد تشومسكي في الفلسفه العقلية ونحو بورويال وعلم النفس الإدراكي الحاج و الدعامة الفكرية لرفض الطروحات البنوية ذات المنحى التجريبي المتبنيه للتصورات علم النفس السلوكي في مجال تعليم اللغة واكتسابها. ومع التحول في مركز الاهتمام من اللغة المحسدة إلى اللغة المبنية داخلياً رفض تشومسكي كثيراً من الأسس التي ارتضتها المدرسة البنوية من النواحي التالية: - فمن حيث الموضوع، كانت المدرسة البنوية تتخذ من النصوص اللغوية موضوعاً لدراستها، على حين اتخذت المدرسة التحويلية من قدرة المتكلم على إنشاء الجمل التي لم يكن سمعها من قبل موضوعاً لها. ومن حيث أسلوب الدراسة والتحليل، كانت المدرسة البنوية تعتمد على وسائل

الاستكشاف على حين يؤمن تشومسكي بضرورة الحدس والتخيّن، ثم إجراء الاختبار لتقدير الفرض المتصاربة. ومن حيث الهدف، وهذا يعني الكشف عن وجود عدد غير متناهٍ من الجمل في أيّة لغة، وأيّها لا يشكل جملاً. وكذلك وصف البنية النحوية لكل جملة. وعلى حين كان البنيويون يرون لكل لغة بنيتها التي تفرد بها، ويحاولون الكشف عن هذه التشابهات الكلية. 1997، ص وقد تناول تشومسكي في نظريته هذه عدداً من القضايا اللغوية النفسية التي اعتبرها تشومسكي ضرورية وأساسية لفهم طبيعة اللغة وأساليب تحليلها وعملية اكتسابها ومظاهر أدائها وآمن أهم القضايا التي تناولها: البنية السطحية والعميقة من المآخذ التي أخذها تشومسكي في التحليل اللغوي وبدأ بها هجومه على منهج السلوكيين في وقت مبكر الاهتمام بسطح اللغة دون عمقها؛ ولا يُعد علماً؛ لأنّه لا يُفسّر شيئاً، فالأهم هو أن نصل إلى البنية التحتية أو العميقـة التي من خلالها نصل إلى قوانين الطبيعة البشرية وهي بنية تجريدية معنية للتمثيل النحوي للجملة، وتنظيم بنائي يحدد جميع العوامل التي تحكم في ترجمة الجملة وفهم معناها بناها، وتحليلـه يقدم لنا معلومات تساعدنا على فهم المعنى الحقيقي للجملة (عبد العزيز ، 1998 ، ص. 345). الإبداعية وعلى تفهم تعابير فكرية أيضاً متقدّدة في لغته وإنماجـه والحكم عليها من حيث الصحة والخطأ ولو لم يستعملـها من قبل أو يتدرّب على استعمالـها. 31) . ميشال ، الإبداعية تسقط عن الإنسان صفة الآلة، ولا تعني التقليـد السـلـبي لقواعد اللغة، إنـما هي توظيف تلك القواعد توظيفاً خلاقـاً وابتكارـياً، فهوـاسـطة هذاـالـخلقـ يـبتـكرـ مـتكلـمـ اللـغـةـ جـمـلـاـ لمـ يـنـطقـ بهاـ منـ قـبـلـ، فـضـلـاـ عـنـ فـهـمـهاـ وـلـوـ لمـ يـسـمعـ بهاـ منـ قـبـلـ، فالـنظـريـةـ التـولـيدـةـ التـحـوـيلـيـةـ تـبـنـيـ عـلـىـ ماـ يـمـكـنـ تـسـمـيـتـهـ بـلـاـ نـهـائـيـةـ اللـغـةـ، فـالـلـغـةـ تـتـكـونـ مـنـ مـجـمـوـعـةـ أـصـوـاتـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـهـيـ تـنـتـجـ وـتـوـلـدـ جـمـلـاـ لـانـهـائـيـةـ لـهـاـ وـهـذـاـ مـاـ يـبـيـنـ طـبـيـعـةـ الـلـغـةـ الـخـلـاقـةـ فـعـلـمـيـةـ التـولـيدـ عـمـلـيـةـ إـبـدـاعـيـةـ تـمـيـزـ الإـنـسـانـ عـنـ الـحـيـوـانـ وـالـإـبـدـاعـيـةـ تـوـعـانـ- إـبـدـاعـيـةـ تـغـيـرـ نـظـامـ اللـغـةـ، وـمـحـلـهـ التـأـدـيـةـ، فـكـلـ الـانـحرـافـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـنـفـسـيـةـ (ضعـفـ الـذـاـكـرـةـ، التـعـبـ الـثقـافـةـ). الـتـيـ تـتـبـاـيـنـ منـ فـردـ لـآخرـ، قـدـ تـؤـديـ إـلـىـ تـغـيـرـ فيـ مـلـكـةـ هـذـاـ مـتـكـلـمـ. - الإـبـدـاعـيـةـ الـتـيـ تـحـكـمـهاـ الـقـوـاءـدـ وـتـوجـهـهاـ وـمـجـالـهـاـ الـمـلـكـةـ. وـهـيـ الـتـيـ تـسـمـحـ لـنـاـ بـتـولـيدـ الـلـانـهـائـيـ منـ الـنـهـائـيـ بـفـضـلـ الـطـاـقـةـ الـتـرـدـدـيـةـ لـقـوـاءـدـهاـ (شـفـيـقـةـ ، 2004 ، صـ 48 ، 47). يمكن اعتبار مسألـةـ الإـبـدـاعـيـةـ فيـ الـلـغـةـ نـقـطـةـ اـفـرـاقـ بـيـنـ الـمـدـرـسـةـ الـعـقـلـانـيـةـ الـمـعـرـفـيـةـ وـالـسـلـوـكـيـةـ الـحـسـبـيـةـ وـإـيـذاـنـاـ بـيـدـ الـصـرـاعـ بـيـنـ عـلـمـ الـنـفـسـ السـلـوـكـيـ وـعـلـمـ الـنـفـسـ الـمـعـرـفـيـ فيـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـالـلـغـةـ، وـقـدـ بـدـأـ هـذـاـ الـصـرـاعـ وـاضـحـاـ فـيـ نـقـدـ تشـومـسـكـيـ لـكـتابـ سـكـيـنـيرـ "الـسـلـوـكـ الـلـغـوـيـ"ـ وـهـجـومـهـ العـنـيدـ عـلـىـ الـأـسـنـيـ إـلـىـ وـضـعـ قـوـاءـدـ الـلـغـةـ منـ خـالـلـهـاـ مـيـشـالـ ، 1986ـ الـفـطـرـةـ الـلـغـوـيـةـ الـنـقـطـةـ الرـئـيـسـةـ فـيـ نـظـريـةـ تـشـومـسـكـيـ، وـالـتـيـ قـادـتـ تـفـكـيرـ الـلـغـوـيـ وـاسـتـبـاطـ قـوـاءـدـ الـلـغـةـ مـنـ خـالـلـهـاـ مـيـشـالـ ، 1984ـ الـفـطـرـةـ الـلـغـوـيـةـ الـنـقـطـةـ الرـئـيـسـةـ فـيـ نـظـريـةـ تـشـومـسـكـيـ، وـالـتـيـ قـادـتـ تـفـكـيرـ إـلـىـ مـاـ تـبـعـتـهـ مـنـ أـفـكـارـ هـيـ فـكـرـةـ الـفـطـرـةـ الـلـغـوـيـةـ فـيـ ذـهـنـ الإـنـسـانـ، فـهـوـ يـرـىـ أـنـ الـعـقـلـ /ـ الـدـمـاغـ الـإـنـسـانـيـ نـظـامـ مـعـقـدـ يـدـخـلـ فـيـ تـرـكـيـبـ إـلـىـ جـزـءـ مـتـفـاعـلـةـ مـتـعـدـدـةـ، (تشـومـسـكـيـ ، 61)ـ وـالـذـيـ جـعـلـ (شـومـسـكـيـ)ـ يـزـدـادـ تـمـسـكـاـ بـهـذـهـ الـفـكـرـةـ مـاـ يـرـاهـ فـيـ تـدـرـجـ الطـفـلـ الصـغـيرـ فـيـ الـكـلـامـ وـفـيـ اـنـتـقالـهـ إـلـىـ تـلـمـعـ الـلـغـةـ وـمـاـ يـمـيـزـ هـذـهـ الـفـطـرـةـ هـوـ شـمـوليـتـهاـ عـلـىـ عـدـ هـائـلـ مـنـ الـقـوـاءـدـ الـكـلـيـةـ الـتـيـ تـوـلـدـ بـالـفـطـرـةـ فـيـ ذـهـنـ كـلـ إـنـسـانـ وـتـنـتـظـمـ فـيـ فـيـصـيـرـ قـادـراـ عـلـىـ تـوـلـيدـ الـجـمـلـ وـبـنـائـهـ بـنـاءـ مـضـبـوـطاـ، اـسـتـنـادـاـ إـلـىـ مـاـ يـسـمـيـ بـقـوـاءـدـ التـولـيدـ، وـتـحـكـمـ فـيـ نـموـ هـذـهـ الـقـوـاءـدـ عـوـاـمـلـ بـيـئـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ وـعـقـلـيـةـ وـورـاثـيـةـ. (خلـيلـ ، 1984 ، صـ. هيـ قـوـاءـدـ نـظـريـةـ ذـهـنـيـةـ كـلـيـةـ عـالـمـيـةـ، وـلـيـسـتـ كـمـاـ يـرـىـ السـلـوـكـيـونـ أـنـهـاـ اـكـتـسـابـ يـتـمـ بـالـتـقـلـيدـ وـالـمـحاـكـاـةـ وـالـخـرـنـ. تـقـومـ الـقـوـاءـدـ الـكـلـيـةـ بـضـبـطـ الـجـمـلـ الـمـنـتـجـةـ وـتـنـظـيمـهـ بـقـوـاءـدـ وـقـوـانـينـ لـغـوـيـةـ عـامـةـ، تـخـضـعـ لـهـاـ الـجـمـلـ الـتـيـ يـنـتـجـهـاـ الـمـتـكـلـمـ وـيـخـتـارـ مـاـ يـتـصـلـ بـلـغـتـهـ مـنـ قـوـالـبـ وـقـوـاءـدـ مـنـ بـيـنـ الـأـطـرـ الـكـلـيـةـ الـعـامـةـ فـيـ ذـهـنـهـ. وـهـذـهـ الـقـوـاءـدـ الـكـلـيـةـ مـوـجـودـةـ فـيـ بـنـيـةـ الـكـلـامـ الـعـمـيقـةـ، وـهـيـ الـأـسـاسـ الـذـيـ تـتـرـفـعـ عـنـ الـلـغـاتـ الـخـاصـةـ، وـهـيـ تـحـتـويـ عـلـىـ شـروـطـ صـيـاغـةـ قـوـاءـدـ الـلـغـاتـ، أـنـ أـيـ لـغـةـ تـبـعـرـ عـنـ مـعـانـ وـأـفـكـارـ وـعـوـاـطـفـ وـهـيـ أـجـزـاءـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ بـنـيـ الـبـشـرـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ جـنـسـيـاتـهـمـ وـلـغـاتـهـمـ، فـالـتـرـكـيـبـ الـبـاطـنـيـ لـأـيـ لـغـةـ لـأـبـدـ أـنـ يـحـتـويـ عـلـىـ عـنـاصـرـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ كـلـ الـلـغـاتـ وـهـنـاـ يـبـرـزـ دـورـ الـلـغـوـيـ فـيـ اـسـتـبـاطـ ذـلـكـ التـرـكـيـبـ الـبـاطـنـيـ الـذـيـ يـحـتـويـ عـلـىـ عـنـاصـرـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ الـلـغـاتـ. وـأـمـاـ الـحـجـةـ الـثـانـيـةـ فـيـإـنـهاـ مـتـأـتـيـةـ مـنـ أـنـ كـلـ إـنـسـانـ سـوـيـ يـوـلدـ وـلـدـيـهـ الـاستـعـدـادـ لـيـتـكـلـمـ أـوـ يـفـهـمـ أـيـ لـغـةـ مـاـ، وـمـاـ أـنـ يـتـعـرـضـ لـلـغـةـ مـاـ مـدـةـ مـنـ الزـمـنـ حـتـىـ يـصـيرـ أـحـدـ النـاطـقـيـنـ بـهـاـ، بـلـ وـإـيـمـكـانـهـ تـكـوـينـ جـمـلـ خـاصـةـ بـهـ، وـفـقاـ لـقـوـانـينـ يـسـتـنـتجـهـ بـنـفـسـهـ لـيـسـيـطـرـ عـلـىـ الـلـغـةـ، وـهـذـاـ مـاـ يـدـعـمـ وـجـودـ عـنـاصـرـ مـشـتـرـكـةـ بـيـنـ جـمـيعـ لـغـاتـ بـنـيـ الـإـنـسـانـ. أـمـاـ الدـلـيـلـ الـثـالـثـ فـيـبـرـزـ إـمـكـانـيـةـ تـرـجـمـةـ أـيـ لـغـةـ فـيـ الـعـالـمـ إـلـىـ أـيـةـ لـغـةـ آخـرىـ، وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ وـجـودـ نقاطـ رـابـطـةـ وـأـوـجـهـ تـشـابـهـ عـدـيدـ بـيـنـ الـلـغـاتـ مـنـ حـيـثـ الـمـعـانـيـ وـالـمـبـانـيـ عـلـىـ السـوـاءـ 134ـ (الـخـوليـ ، 1999ـ)ـ صـ اـكـتـسـابـ الـلـغـةـ مـنـ الـمـبـاحـثـ الـمـهـمـةـ. فـيـ الـلـسـانـيـاتـ -

التي أثارت جدلا لدى الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس، وقد انقسمت آراؤهم إلى مجموعتين: الأولى تفسر اكتساب اللغة من حيث اعتبارها قدرة فطرية موروثة، والثانية تفسر اكتساب اللغة من خلال الخبرة البيئية، وبين الأولى والثانية تقع وجهة نظر وسطى معتدلة في تفسير اكتساب اللغة تسمى "التفاعلية". ولا نريد هنا التفصيل في هذه النظريات فهي أكبر من أن تسعها صفحات هذه المقالة ولكننا سنقتصر على نظرية تشومسكي لحداثتها وارتباطها بالموضوع. ص (30) فما يؤمن به تشومسكي أن اللغة تنظم معقد وغير دراستها نكتشف المبادئ المجردة التي تقود طرق استعمالها، وتحكم ببنيتها؛ ولهذا يحتل اكتساب اللغة عنده مكانا بارزا في اهتماماته، تبرز هاتساؤاته عن طبيعة هذا الاكتساب وعن إمكانية وضع نظرية تسمى "اكتساب اللغة". ينتقد تشومسكي السلوكيين في عملية اكتساب اللغة ويرى أنها قائمة على اعتقادات أولية ومبكرة سائدة عند السلوكيين والتجريبيين ويعتقد أن دراسة الفرضيات التجريبية التي سيطرت على دراسة اكتساب المعرفة خلال سنين عديدة قد تبناها السلوكيون من دون أي تبرير ، ميشال ، 1986 ، ولهذا يرفض تشومسكي الاقتناع بأن الطفل ينمي بذاته القواعد التي تنتج الجمل المحتملة والتي تدرج ضمنها تراكيب كلامية لم يسمعها من قبل ، والتي لا يمكن التكهن باحتمال ورودها في الكلام، ويُصر على أن بنية التنظيم المعرفي الذي من خلاله يكتسب الطفل اللغة معطاة سلفا إلى الطفل وبالتالي، لا يتم اكتساب اللغوي متاليا كما يزعم السلوكيون، أو من خلال دماغ فارغ و بواسطة الاستقراء والتعيم ومن دون أية ضوابط بيولوجية. ميشال ، 1986 ، وما شابه. يبدأ اكتساب اللغة في نظرية تشومسكي اللغوية، ببناء التنظيم الفونولوجي بصورة نشطة وفعالة، فالتنظيم اللغوي يبدو في كل مرحلة تنظيما تاما، فكلما تحسس الطفل بوجود الفونيمات المميزة تغيرت العلاقات بين العناصر وتغير التنظيم ككل، ويستمر هذا الوضع إلى أن يمتلك الطفل التنظيم الفونولوجي ويبدأ الطفل بإدراك الاختلافات القائمة بين الفونيمات في لغة والتفاعل مع الكبار وبتميزها في وقت لاحق في وقت لا يكون فيه قد أصبح قادرا على إنتاج الفونيمات ص أما ما يخص التراكيب اللغوية فقد أثبتت الملاحظات أن أول ما يبدأ الطفل به في عملية اكتسابه استعمال كلمة، ثم الجملة المكونة من كلمتين عبر استخدامه المنظم لفئتين مميزتين من الكلمات الفئة الأولى ويكون عدد عناصرها قليلا، وتسمى (الكلمات المحورية) وتترد بصورة متواصلة في كلام الطفل، حيث يبني على عنصر منها كلمة من فئة الكلمات المفردات في سياق محاولاته الكلامية.